رواية

اللعنة على قلبك

عمر طارق المغربي

كتوباتي
kotobati

اللعنة
على قلبك

عمر طارق المغربي

رواية

الكتـــــــــــاب: اللعنة على قلبك

تـــــــــــأليف: عمر طارق المغربي

النوعيـــــــــــة: رواية اجتماعية

صدر عن كتوباتي: 2024م

التنسيق والتصميم: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

إهداء ...

إليها...

إلى تلك المجهولة في كل قصص الغرام التي كتبتها...

إلى ملاكي اللطيف...

إلى ماضي مبعثر أنفيه اليوم في منافي النسيان..

إلى قلبك اللعين..

وحبي الألعن..

أرفع هذه السطور.

عمر

أحياناً تسير بنا الحياة إلى أقدارٍ لم نخطط لها، تجعلنا عابرين سبيل في حكايات الوجود، نقطة "فصل" بين الحياة والموت، يقال
(أن الحب يحيي القلوب)

فهل للحب أن يميتها؟

سؤال لطالما طرحته على نفسي، لطالما داهم تفكيرات ما قبل النوم، كان صديقي في الثلاث سنوات الأخيرة التي عشتها، وها أنا اليوم، أكتب لكم الجواب، أقص عليكم الحكاية، ها أنا من أمام مكتبي، والكتب الواثبة أمامي،و تلك الأقلام التي ترقد بهدوء في علبة أقلامي، والأوراق المبعثرة التي أكتب عليها الآن،
"قررت..."

أن أحدثكم عن كل ما يختلج في داخلي، عن كل شيء، لم تتجرأ شفتاي البوح به، عن زمان ومكان تائهان في قلبي، عن ذكرى مزعجة تعيش في صفحات الماضي .

نعم، الماضي الذي يلاحقني، يتغذى على تدميري، يلاحق مستقبلي ويجالس حاضري، ماذا يريد مني؟ ألم يكتفي؟ ما الذنب الذي أقترفته بحقه؟ حتى يصّر على مجانستي أينما أمضي...

أسئلة أخرى في رواية حياتي لم أجد لها جواب، يمكن لأني لم أبحث عن الجواب!، أو يمكن لأنني لا أريد معرفته!،لأن الماضي أرهقني، شتتني، جعلني عاجز في ريعان شبابي، لكن الآن حان الوقت لأقول لكل تلك الحسرات والآهات،

{كفى }...

لم أعد أحتمل أكثر، لم أعد خائف، ومما أخاف؟ لقد دمرت، هشمت، هل هناك أشياء أخرى بعد لم تحدث لي؟

لا أعتقد...

لذلك قررت أن أقص عليكم قصتي، حيث شعرت بأول مره بذلك الشعور الخفي، سأحدثكم عن أول مرة أكتشفت بها سبباً للعيش، عن حكاية حب لم تبدأ لتنتهي!...

من بطلها؟

"أنا"

لا تضحك، لطالما كنت أنا بطل كل حكايتي، لم أكن كاتب عبثاً، أو حكايتي كانت عبثاً، كلها من بساط حياتي، من نشيج دموعي، من آهاتي، من عباراتي التي أذرفها في كل ليلة فوق وسادتي..

والبطلة أجعلها وهمية،

لماذا؟

لأنني أخشى أن تقرأ تلك الفتاة المقصودة حروفي فأيقظ بها من جديد جراح لبد أنها دفنتها من سنين، أو هذا ما أئمله، وأتمناها مع معرفتي أنها لم تشعر بوجودي يوم...

أعذر شتاتي، وعبث كلماتي، أعذروني فلا أدري كيف أبدء تلك الحكاية، كنت أعتقد بأنني كاتب جدير، أجد لكل قصة ورواية حبكتها، لكن الموضوع أختلف عندما أضحيت أنا الحكاية...

أغمض عينيك، أشعر بكلماتي، تلمس صدقها، أجعلها صورة محفورة بقلبك، تفحص تسارع نبضاتك، ونفسك الذي أنكمش لثوانٍ، أنا هناك في قلبك أيه القارئ، أشعر بك أكثر من غيرك، أنا هناك في نبضاتك، خفف عنك فكل شيء يفنى، فما بالك بالمشاعر، أن تعيش بسجن الحب، يعني أن تجلد نفسك بنفسك، أن تقتل وجودك وقلبك بيدك، لست أخف مني حال، ولست أخف منك وجع، أجعل الصمت وحده من يلفك، والهواء العليل وحده من يلفح شعرك وأنت تقرأ، تخيل الليل، الظلام، البحر وصوته، الطيور وأنغامها، هل أنت مستعد؟

لنبدأ...

*****

أخيراً أنجلت السحب من السماء، وبرزت الشمس من خلفهم ساطعة، تشي بأن الحياة ستستمر لو مهما طال الغياب أو أستمر السواد، لفح الهواء البارد أوراق الأشجار، فراحت ترتجف وتصدر حفيفاً قوي، يتناسق تمامًا مع صوت الأشجار في أفلام الرعب، قطرات الماء، قد غطت كل شيء،بللت التراب، بعض القطرات على أوراق الشجر، وأخرى على بعض الجوامد، كان المطر شديداً في تلك الليلة، لدرجة أنه ترك أثار الماء لظهيرة اليوم التالي، رغم ذلك الطقس والعوامل الشتوية، كان هو هناك، طفل في السادسة من عمره، غطت معظم ملابسه مياه طينية، عيونه العسليه تتفحص الأشياء، وشعره الكستنائي يتطاير بفعل الهواء، كان يلاحق الحشرات الصغيرة كعادته، الإبتسامة تعلو ملامحه، يعدل بيديه الصغيرين نظرته الطبيه السوداء، ويرفع بنطاله، لقد بنا من الطين عدداً من الأشياء:

- بكم قالب الحلوى هذا يا عمر

- بخمسمائة ليرة لبنانية

أنه لمبلغ كبير، بالطبع لم تكن تمتلكه هي، وبالطبع لن تدفع له أنهم يلعبون فقط، فقد كان كل شيء جميل وبريء في نفس الوقت، الحلوى المصنوعة

من الطين، المقاعد، الحياة، الفصول، كان كل شيء جميل بعالم الطفولة، كل شيء كان مذهل وسحري بطريقة ما، لقد إمتلئ بنطالها الجينز هي الأخرى من الطين، شعرها الأسود المجعد تشتت أكثر فوق وجنتها وبعثر، ملامحها هادئه جداً، عينيها العسليتين، شفاهها الوردتين، أنفها الصغير،كل شيء يشي بالسكينه في معالمها، نفضت يدها من التراب،فجأةً، أرتعبت ملامحها، ولاذت تحتمي بعمر الطفل الصغير، و إذ بصوت غاضب يصيح بها:

- ريان تعالي إليّ فوراً، ألم أمنعك من الخروج، ستمرضين يا عديمة العقل؟ !

عقد عمر الصغير حاجبيه لم يعجبه ما أدلت به أم ريان، فأجاب بصوته المنزعج وكلماته المنفصلة:

- كنا نلعب فقط، ريان لم تفعل شيء

- سألقنك درساً أنت وهي

وقبل أن تنال منهم تلك المرأة بقبضتها، أخذ ريان من يدها وفر بها هارباً، لطالما كان يخاف عليها دون أن يشعر، لطالما أرعبته فكرت أن يجرحها أحدهم بكلمه فقد كانت بنظره ملاك صغير لا يجوز لمسه.

*****

المطر شديد، الساعة تجاوزت الثانية ظهراً، خرج الجميع بصحبة أبائهم من المدرسه، نظر عمر متفحصاً المكان:

- هيا يا ريان سنتأخر على المنزل

-ولكن ألا ترى المطر؟، قطعاً سنمرض لو خرجنا الآن

صمت عمر مفكراً، وأضاف بعد لحظات:

-على ما يبدو أن المطر سيطول، ما رأيك بسباق

لمعت عيناها كانت تتمنى من داخلها أن تسير تحت المطر:

-سباق؟ حسناً من يصل آخراً لا يأكل من فطائر الجده !

عمر وكان قد علم أنه لن يأكل منها على كل حال، فقد أعتاد أن يعطيها حصته منها (يحب أن يشاهدها وهي تأكل):

-حسناً لنسرع إذاً ...

وطأت أقدامهم تقطع هدوء المكان، على الرغم من أنه سباق ظاهرياً إلى أنهم يتسابقون بنفس المسافة وذات السرعة، وقعت عيون عمر على ريان التي تركض بحماس، دقات قلبه تسارعت، إبتسم، رغم المطر الذي كان يغسلهم،

وكان قد ملئ كتبهم، إلا أنهم سعداء، وصلوا أخيراً بذات الوقت، لم يربح أحد ولم يخسر أحد كذلك:

-يا رحمة الإله، ما الذي أصابكم يا صغيريّ؟

هبت الجدة سلام تحتظن أحفادها الصغار بكل عطف،بحضن دافئ تخفف عنهما وقعت البرد الذي إجتاحهم:

-لم يكن بوسعنا الإنتظار أكثر يا جدتاه

- لا عليكما، أدخلا وبدلوا ملابسكم لقد أعددت لكم الفطائر الساخنة.

"الفطائر الساخنة من يدي جدتي، كانت أعظم طريقة لتعبر بها عن حبها الكبير لنا، لطالما أحتظنتي جدتي في ليالي كانون البارده، لطالما خففت عني حزني، وأرشدتني في العديد من موضوعات حياتي، كانت أمي وسندي، وملجئ أسراري الآمن، الآن وأنا أكتب يا جدتي، أستذوق من جديد طعم تلك الفطائر، مازلت أذكر طعمها كأني أتذوقها الآن،رفقاً يا دموعي لا تنهمارا، لقد أقسمت على نفسي أن لا أبكي بعد الآن، أن لا أنوح، أن أستسلم لمستقبلي، ولانسى الماضي، أريد ان أطير، هال هناك من يحررني من سجن الذكريات هذا؟ جدتي)جدتاه) كم أشتاق لحضنك اليوم وكم أنا بحاجة له الآن؟ أيامي كلها كانون، يلف عالمي الآن البرد يجتاح كل شيء قلبي، مشاعري، وجداني

كله جليداً أضحى الآن، كرهت الحب، كرهت الدفئ، كرهت نيسان، لا أريد إلا كانون لا أريد سوى البرد في عالمي الآن.

*****

دق المنبه أخيراً، وها هو ضوء الشمس يلفح وجهها، الناعم، النائم، مدت يدها محاولة أطفاء صوته المزعج لكنها فشلت، شدت الوساده إلى فوق رأسها محاولة أخفات الصوت

فشلت...

نهضت على مضدد، غسلت وجهها، تختلف كلياً عن تلك الطفلة التي كانت عليها بالأمس البعيد، لقد أضحت شابه، أشتدت ملامحها القليل،مما أدى إلى بروز معالمها الجميله أكثر، فستانها الأبيض يتطاير بفعل الهواء، حملت حقيبتها وخرجت من المنزل، كان هناك ينتظرها، هو دائماً ما يجلس هناك من عشر سنوات مضت، لقد بدأت لحيته الخفيفه بالبروز، كما شعره الكستنائي، القصير، ومعالم وجهه القاسيه، كلها تشي بأنه اليوم شاب، ألم يمل من الإنتظار ؟ ومنذ متى يمل القلب؟ أنتظرها في كل صباح هناك، يعطيها كوب

القهوة، يمازحها ثم يودعها لترحل إلى المجهول، نعم،خلال العشر سنوات الأخيره تغير كل شيء، ريان غيرت مدرستها لم تعد بمدرسة عمر، وعمر أضحى يقسم وقته بين ساعات وهو ينتظرها، وساعات دراسته، الأرض الطينه التي كانت بالأمس ملعب لهم، لم تعد سوى حطام، بقايا من الذكريات، صور من الماضي، يعود إليها ذلك الشاب يوماً بعد يوم يتفحصها بعينيه العسليتين، ويتنهد بحيره، ثم يلف ظهره ويجر معه أذيال الخيبة .

الطفولة أضحت ذكرى، لحكاية لم تكتمل، لملحمة روائية لا يوجد لها نهاية، سباق آخر تحت المطر يجمعهم، هذه المره هي تبتسم بروعة، وهو ينظر إليها بحب، من يصل أخيراً لن يحصل على فطائر الجده، وصلوا معاً، قاسمها عمر من صحنه، بعض الفطائر، لقد أعتادت على أهتمامه بها، حتى ظنت أن هذا من حقها، وعن عمر بالطبع ما كان ليمانع، ما كان ليرفض أن يرى (ملاكه الصغير) سعيد،

لكن من يخبر عمر؟ ... !

أن الملاك كبر؟

من يخبره أن أجنحتها كبرت؟

وستحلق بهم يومًا ما إلى المجهول ...

من يخبره؟ من يكشف له الحقيقة؟.

النجوم تلمع،والأرض تدور، والحب الموعود لن يأتي لا مع لمعان النجوم ولا حتى مع دوران الأرض:

- عمر أريد أن أخبرك شيء بعد الطعام

-حسناً، ريان، هل هناك سر؟

أبتسمت بمكر وهي تهز رأسها علامة على الإيجاب، وكان قد أحمر وجهها، شدته من يده، سحبته إلى غرفة خالية، ضربات قلبه تتسارع، هل سيسمع تلك الكلمة التي أنتظرها طويلاً؟ هل هي تبادله نفس الشعور، صمت دام للحظات:

- عمر سأخبرك بشيء لكن عدني أن لا تخبر أحداً به !

- هل أخبرت يومًا أحداً بأسرارناً؟

-لا لم تفعل

-أذاً تكلمي ماذا هناك؟

عمر يتأهب لسماع تلك الكلمة التي ستطرب جوارحه، أنصت لها بإمعان،حبات العرق البارده تتصبب من جبينه،أبتسم إبتسام حانيه وهي تنظر له بحماس:

- عمر أنا.... أنا

-تكلمي لا تقسمي الكلام لم تعودي صغيره !

أجابت بحماس وهي تقفز وتهمس:

- أنا أحب أحمد..

صمت دام، وما زال يدوم في حياتي، هي تقفز فرحه، وهو يحاول أن يرسم شبح الإبتسامه على وجهه، لقد ترك وحيداً كزهرة نبتت في صحراء جرداء قاحلة، كحورية وحيدة بين مئات الحيتان، شعرها يتناثر على وجهها وهي تقفز في فرح، عمر يتأملها بهدوء، كان هناك شيء بداخله يدفعه للثوران للصراخ، للأعتراف أنه يحبها،

لكن(لا).

كان يجب عليه أن يصمت أن يضحي، ما كان ليحب أن يدمر فرحتها العامره تلك، هز رأسه بهدوء:

- آه جيد، أحمد فتى لطيف

-أليس كذلك، لقد أحببته من مدة طويلة، لا أطيق الأنتظار أكثر سأخبره غداً، عليك أن تساعدني أتفقنا؟ !

رسم عمر إبتسام كاذبة، وهز رأسه إيجاباً، ثم خرج على نحو السرعة، لو ضل أكثر كانت دمعته ستفضحه، لذلك هرب، وما يزال يفعل، ليومكم هذا أهرب من كل شيء، ليس لي طاقة لمواجهة شيء، أكره الحب، اللعنة على كل قلب عاشق، لقد دمرني.

في تلك الليلة، غاص هو بعمق تفكيراته، الدموع ترسم لها لوحة على خديه، سافر للبعيد البعيد، وهو مستلقياً هناك على سريره، كان يتأمل هدوء الوحدة، ورعب الحب، شعور غريب يجتاح قلبه، خنقه، كل شيء أسود، ومؤلم،جرح المشاعر يؤلم أكثر من حد السيف .

يقال بأن لا يوجد للحزن شكل أو طعم، ولكني أقول لقد أستطعت أن أتذوق طعم الحزن، لقد كانت كحرقه حموضيه موجعة، شكله كشكل الغبار التي عششت في البيوت المهجوره، فوق الصور، تحت الأشياء، بين الفراغات .

هل يقول أنه لم يعد يحبها؟

هل ينكر ذلك؟

وكيف ذلك؟

وهو يحفظ عنها كل شيء حفظ دموعها وآهاتها، حفظ بسماتها وتعبيراتها، سكونها، أفعالها وأنفعالاتها، حفظ شرودها، كل شيء عنها،أصغر تفاصيلها،

متى تبتسم؟ يفهمها دون أن تتكلم، يشعر بها، هل يقول اليوم أنه لا يعرفها؟ هل يتجرأ أن يقنع قلبه بعدم حبها؟

اللعنة على قلبك، لقد جعلني غريب، مشتت، ضعيف، اللعنة على بسمتك التي خطفتني من هذا العالم وأخذتني إلى عوالم لم أحسب أنها موجوده من قبل، اللعنة على جمالك الذي سحرني وجعلني أطارده كالمختل حتى في الأحلام،)اللعنة على قلبك) لماذا لم يختارني؟ لماذا لم يشعر بي؟لماذا أحبّ غيري؟،

كنت هناك، يقربها دومًا أسكّن لها الجراح، أطبطبُ على كتفها عند كل مصاب، رافقتها دومًا في كل زمان، عشت معها كل الحكايات،حلقت للمجهول معها ، تنازلت وتنازلت، ولكن لم تكن تراني!، تنازلت وتنازلت، ولم ترأف لحالي، تنازلت إلى أن خسرت (كرامتي) ورضيت بنفسي

{بديل}

تعود إليه عندما تضل الطريق، لم تكن المرة الأولى التي أحبت بها، دائمًا ما أخبرتني، عن شبانٍ تحبهم، وأنا كالمجنون أسارع لأكتشاف ما أعجبها بهم عليّ أكون، عليّ أحظه لمرة واحدة بإهتمامها اللعين، لكن لا، هذه المرة مختلفة، أحمد كان حبيبها منذ الطفولة، هل أنا أكون طرف ثالث؟

أحمد وماذا عنه؟

صديق تربيت وعشت معه، أكلت معه بنفس الطبق، شاركته كل الضحكات، كيف يخونني هكذا؟ كيف يكسرني؟

لم يخني أحمد هو أيضاً أحبها، وهي أحبته .

كان هو من تخيلته أن يكون بقربها لا أنا، لا أريد أن أخسرها ولا أريد أن أخسر صديق، حتى ولو كان الثمن خسارتي لنفسي .

هناك شعرت بخنقه حارقه،تشتت، كيف لو سمعتم صوت نشيجي في تلك اللحظات؟ عندما شاهدت يداها بقبضته، كرهت نفسي، شعرت بحكارة تغتزي أضلعي،بكم التخلف والجهل الذي أنا عليهم، عندما رأيت نظرات الحب التي تختلج أحداقها تجاه أحمد،أنتابني مرض، بل لعنه داهمت وجودي، أعذروني، وأعذروا ضعفي، أعلم أنني لم أجب إلى الآن على أي سؤال طرحته، ولكن الوقت كفيل أن يجيب على كل الأسئلة، تماماً كما كان هناك جواب لسؤال لطالما طرحته على نفسي هل هناك فرص أخرى؟

أخبرتني بذلك المساء بعد عودتي من الجامعه:

-عمر ما رأيك بي وأنا بفستان أبيض

نظرت إليها، خلتها، سافرت للبعيد وخلت نفسي بقربها وهي ترتدي فستانها الأبيض، وأنا ببذه سوداء،يدي بيدها، وباقة بيضاء، الجمع يصفق بحماس، والحب يملئ الأجواء، نكتب نهاية لقصة حبنا،ترمي باقة الورد من يدها، ويحسدنا الجميع على حبنا، و إذ بها تقطع شرودي ذاك، بلعنة نزلت كصاعقة على آذاني:

-لقد عرض عليّ أحمد صباح اليوم الزواج

نظرت إليها لم أستطع تمالك نفسي أكثر، الدموع أنهمرت كسيل المطر، شعرت بدمائي ترتجف، أضلعي،يداي ما عدت أسيطر على شيء بجسدي، أردفت بصوتي المهزوز:

- وهل وافقت على طلبه؟

نظرت إلى بعين الإستغراب وعلقت:

- ما بك لماذا تبكي؟

تظاهرت باللامبالاة وأنا أحاول مسح دموعي بيدي المرتجفه:

-لا، لا شيء دموع الفرح، صديقة عمري ستتزوج

- عرفت هذا، علمت أنك أكثر من سيفرح لأجلي،كم تمنيت ذلك اليوم الذي تراني به بالأبيض؟

علمتي بفرحتي ولم تعلمي بمشاعري؟ لقد كنت أبله لحد العجب، كنت مختل عندما أعتقد إنها فكرت بي للحظه ...

عندما أدرك عمر فعلته الحمقاء أعاد ثباته وعلق ليخفف حدة الموقف:

- بالكفن ؟

-عمر؟!، ما هذا المزاح، أقصد فستان الزفاف

-آه أجل، لم تجيبي هل وافقتي؟

بنظرات خجل و إبتسامه:

-بالطبع! كنت أنتظر هذا من وقت طويل

نظر إليه عمر نظرات حزن و إنكسار،لم يعد قادر على فعل شيء، شيئاً ما بداخله يخبره أن هذا كابوس، وهم، وسيستيقظ منه لكن متى؟

"أحياناً يكون الواقع مخيف أكثر من الكوابيس، المخيف أكثر هو مواجهته ".

هزّ رأسه بهدوء، ونسحب إلى الخارج، الزفاف بعد يومين، لقد حدد الموعد، راح عمر يركض، المطر شديد، الدموع أكثر، على وجنتيه، يجلد نفسه بالركض، سيخفف عنه لا محال ولو القليل، مشهد آخر لريان وهي تختار فستان الزفاف وتضحك، تعود بنا الصورة إلى عمر الذي يبكي وهو يحزم أغراضه، أخال أنه

هنا يتداخل مع المشهد دقه حزينه،مشهد ميلو درامي حزين، وصوت مطر، ريان تتهيأ لزفافها، ضحكات أحمد ومغازلته، دموع عمر وشجونه، لن يرض أن يكون طرف ثالث، لا يريد تدمير تلك الفتاة التي أحبها، يقال أن)من يحب يجب عليه أن يضحي) وها هو حقاً أختار سعادتها على سعادته، حزم حقائبه، شيع منزله ذكرياته، كتبه، غرفة عاش بها،صنع بين جدرانها كل الذكريات، سيتخلى عن كل شيء، حمل بيده عن طاولة المكتب صورة له تجمعه بريان عند شاطئ البحر، مسح وجهها بهدوء عندما تسربت واحدة من دموعه إلى الصوره، ودسها في جيبه وخرج، نظر إلى جدته وأبتسم، كانت كعادتها تنام بهدوء،قبلها من جبينها ويداها، سيترك جدته، تنازل جداً، كيف لكم أن تقولوا أنه لم يضحي بشيء؟ ،هم بالنهوض:

-إلى أين يا ولدي؟

نظر عمر إلى جدته، لم يتحمل أكثر، رمى بنفسه إلى حضنها الدافئ وراح يرتعش بجسده ويبكي، مسحت الجده رأسه بهدوء وهي تقول:

-ولدي، أذهب، أرحل عن هنا، عللك تجد هناك من تحبها أكثر وتحبك .

نظر عمر إلى جدته، تعلم بحبه؟، نعم، فهي لا يخفى عنها شيء، هي من ربته، سمعت دموعه وسهرت بقربه، كيف لا تعرف سبب قلقه؟ من لحظة أعلان

زفاف ريان وهو لم يخرج من غرفته؟ تسمع نشيجه في الليل، وترى عيونه الحمراء وهيئته المزرية في الصباح .

حسناً على عمر أن يذهب، شيع الجدران والحكايات ووجوده من جديد،سحب أدراجه للخارج، هناك تنتظره سيارة أجره ستقله بعيداً عن هذا الكابوس، ركب عمر فيها، بعد أن دس أغراضه في حقيبتها، وسارت السيارة إلى المجهول، المطر شديد، السماء ملبدة بالغيوم، كل شيء كان حزين، كل شيء وكأنه يواسي عمر، يشاركه المصاب، يبكي معه،حتى دموعي هي من تكمل سرد الأحداث لا حبر قلمي،عمر ورزاز المطر يغطي النافذة ويجعل الرؤية ضبابية، أسند رأسه لمقعد السيارة وأستسلم للبكاء، بعد أن عدل رأسه للأمام بعدما كان ينظر للخلف، وهكذا إلى أن أختفت هذه العربيه بضباب مدينة بيروت، إلى الأبد دون رجوع دون نظر إلى الوراء دون إلتفات لما مضى مع أوراق الماضي وأفعاله.

*****

صديقتي ريان...

تحية طيبة ملؤها الشوق...

أما بعد، لقد تركت القرية و إتجهت إلى هنا، إلى عاصمة الحب والجمال، إلى تلك التي لطالما صورناها أنا وأنت في خيالنا، لطالما رسمناها بأقلام الوهم الملونه، بيروت الصمود، بيروت العروس، بيروت عاصمة لبنان، وملكة جمال العالم، هنا كل شيء مختلف عن قرانا يا ريان، العالم، التطور، المدارس، الثانويات حتى الجامعات والمكاتب، رائحة البن والكعك تملئ كل شارع، تخاطب كل زائر، تمازج كل سائح، تختلف الوجوه هنا، المكان والزمان أيضاً، حتى المشاعر، كل شيء رائع، كل شيء جميل، كل شيء مثلما تخلينا وأروع، أكتب لك الآن، ليس فقط لأحدثك عن بيروت ومدى روعتها، بل أيضاً لأبارك لك على الزواج، أعلم أنه غداً، لكن أعتذر، أعتذر منك يا ريان، لطالما وعدتك أن أكون جنبك بمثل هكذا يوم،أن أرتب لك فستانك الأبيض، لكن الظروف حالت دون ذلك، مثل العديد من أحلامنا التي خطيناها سوياً لكن كان للقدر خطط مختلفه تماما عن ذلك، لكني أعدك، وعداً لن أخلفه هذه

المره، اني سأكون أنا واحداً مِن مَن يحملون أطفالك، سأكون بقربك وأنت تضعيهم، أعلم أن هذا ليس من حقي، وأنه من حق زوجك، ولكن هل يترك الأخ أخته بيوم مثل ذاك، وداعاً سأمضي إلى دروب أخرى رسمها لنا الزمن، وداعاً وختاماً أتمنى لك حياة زوجيه رائعه ومثاليه.

صديقك دوماً

عمر

مسح الدموع من عينيه، بعدما كانت لم تفارقه مذ وصوله إلى الفندق منذ يومين مضوا، رمى القلم، تفحص كلماته أخيراً، هناك شيء ناقص، شيء غريب، أنها الحقيقه، كانت تفتقر تلك الرسالة الكاذبه إلى الحقيقة، حقيقة أنه ليس سعيد، ويبكي بين جدران الغرفة التي لا يفارقها، حقيقة مشاعره، حقيقة أخرى لم يكتبها، لم يكتب أنه أشتاق لها، أنه كان يتمنى أن يكون هو من يقف بقربها وهي ترتدي فستانها الأبيض، ومدى أشتياقه لضحكتها وبسمتها وشعرها، حقيقة أنه يبحث عنها في الخيال لكنه لم يصل لها لو مهما بحث، هل أستسلم هنا؟

{ كان لا بد أن يستسلم هنا }...

أن يتوقف، ماذا هناك بعد؟ لقد خسر كل شيء لن يفيده البقاء، بل لم يزيده إلا خسارة، حمل القلم من جديد سحب ورقة أخرى وراح يكتب...

{يكتب ماذا؟}

لا يدري لكنه كان بحاجة للتعبير...

"والكتابة هي أعظم لغة للتعبير عن الكم الهائل من المشاعر التي تختلج قلوبنا، تخرج من القلب، وتقع بين السطور عبر حبر ذلك القلم، لقد أكتشف شيء جديد بنفسه، ما كان يكتب مسبقاً،من أين له كل هذا الكم من

التعبيرات؟، كان يتنقل ببراعة بين السطور، فيرسم الحروف التي تشكل بدورها الكلمات، وراح، كلمة تتبعها أخرى، تعبير حزين وآخر مفرح، يحبك الرواية ككاتب مخضرم له تكتيكه الخاص بالكتابة، أبدع في الصور البيانية، لقد بدأ يرسم حكايه جديده أو بالأصح طريق آخر له عبر عوالم لم يعرف عنها شيء من قبل، {عوالم الخيال والوهم}"

*****

تأملت مكان جلوسه، كان ينتظرها هناك عند كل صباح .

- أين هو؟

لقد رحل، تحمل حقيبتها وتسير بكل هدوء، تتأمل بعينها اللا مكان، هي بعالم آخر،

-لماذا تشعر بحزن شديد؟

من عشرة أيام وشعور غريب يداهمها، هناك كان ينتظرها في كل صباح، هنا كان يحدثها عن أحلامه، هنا كانت تحاكيه عن يومها بالتفصيل، أيضاً هنا كانت جلساتهم معاً عند كل ظهيرة .

"ذكريات، مجرد حكايات، ظلت في البال، صور أضحت تسكن ألبومات الماضي، خبريات فاتت وفاتت عليها السنين، دموع حنين، تنهيدات وأنين، فرح وسعاده، بسمات وقهقهت مجانين، كلهم في الذكريات يحيون، وكأنهم لم يموتون "

لقد رحل)عمر) دون عودة، دون أن تودعه حتى، دون أن تعرف عنه شيء، أو إلى أين وجهته؟، عند عودتها لمنزلها، تصفحت صندوق البريد، هناك رسالة

{إبتسمت}

إنها من عمر ...

{إنفرجت أساريرها}

سأترك الدموع تكمل عني المشهد، لم يكن بزفافها!، وماذا الآن؟، يعدها بأنه سيحمل أطفالها، قبلت تلك الرسالة، ضمتها دون إرادة منها، "علها تضم الغيّاب، تشم رائحتهم بين الحروف،أو تقبلهم بين الكلمات"، لقد ختم بالوداع، مالذي يقصده؟ هل لن تراه

مجدداً؟

وماذا فعلتيه ليبقى؟

ماذا ستفيده الدموع بالله؟

{لقد رحل، وأنا تزوجت الآن}

- علك تلقاه يوماً ما، يحمل أطفالك ويداعبهم بكل لطف وحنان، "يوماً ما يا ريان، يوماً ما..."

*****

لبس الليل ثوب ظلمته، و إرتدت الشمس ثوب الضوء، وتواصلت بينهما الأيام بين شمس وضياء وبين قمر وظلام، ومرت الساعات، تلتها الأيام لتتبعهم الشهور، التي تحولت بدورها إلى سنوات، وها هو يجلس الآن أمام مكتبه، يتفحص الأوراق، بقربه أكوام من الكتب، والأقلام والأوراق، لقد أضحى كاتب معروف ومعروف جداً، لكنه ضل بحق نفسه مجهول، مجهول المشاعر، مجهول الوجود، يجلس على أوراقه لساعات ولا ربّ لأيام، لينجز روايته، تاركاً سيل الحياة يمر، دون مبالاة لقد إعتاد على الوحدة، وضجيج مدينة بيروت، أضحت عادة عنده، صور جديد في ألبوم حكايته، والماضي أصبح صورة من صور عديده يتحفظ بها في ألبوم الذكريات، وها هي تضع ثاني أطفالها،لكنه لم يكن هناك

{أخلف عهده من جديد}

تغيرت كثيراً معالمها الشابه، وأضحت أم موزونه هادئة الملامح، لا تذكر (عمر) أن سألتموها عنه الآن، و إن بحثت بالماضي لا تذكره، تعتبره مجرد عابر كان حكاية في حياتها يوماً ما .

"يوماً ما يا ريان"

"يومًا ما"

(أليس كذلك؟)

أما عنه، فقد سمع بخبر ولادتها، خال نفسه بقربها، يمسح عرقها، يخفف عنها الألم، يشد على يدها، يطمئنها، لطالما تمنى أن يكون ملاكه الصغير بخير لأنه حتماً سيكون كذلك.

حملت مولودها، أبتسمت له، وضعت قبله هانئه على جبينه، وهو نائم، نهضت لتخرج من الباب،حينها لمحت طيف غريب

- ظنته خيال

(لكن لا؟)

باقة الزهور حقيقيه، تقبع فوق تلك المنضده، حملتها شمت رائحتها، وسحبت ورقة كتب عليها بخط مزين)مبارك لملاكي اللطيف) لم تفهم ما القصد؟،

لقد نست من يكون صاحب هذا اللقب!، أو من يكون قد أعطاها باقة الزهور هذه؟، رمت الورقه بسلة المهملات المجاورة لها، وحملت الباقة وهي تكمل سيرها نحو الخارج، نحو ضباب الحياة الكثيف الذي أختفت فيه هي وطفلها.

لكن هل وجدت الجواب على سؤالي؟

هل للحب أن يميت القلوب؟

في عمق مشاعرنا، يتجلى الحب كقوة لا تُضاهى، تجذب الأرواح نحو بعضها، فتزرع فيها الأمل والشغف. لكن، هل فكرنا يومًا أن هذا الحب، الذي يبدو كنسيمٍ يُنعش القلوب، قد يكون في بعض الأحيان جاثمًا على الصدور كجبلٍ ثقيل؟ نعم، إن للحب الذي يحيي القلوب القدرة أيضًا على قتلها.

الحب كالنجمة في سماء حالكة، تضيء الدروب أمامنا. لكن، كما يمكن أن تشعل النيران، يمكن أن تُخمدها، لتتحول الشغف إلى وجع لا يُحتمل.

تخيل أن الحب، في لحظة من اللحظات، يتحول إلى غرامٍ مؤلم، ينزف القلب منه حتى ينفصل عن نفسه. كيف يمكن لك أن تفسر تلك العواطف المتضاربة؟ كيف يمكن أن يعيش الإنسان في حالة من الفوضى، حيث تكون السعادة والحزن متعانقتين؟ الحب قد يجلب الفرح، لكنه قد يكون أيضًا سببًا للألم العميق، وجرح لا يندمل.

مثل كتابٍ مفتوح، يروي لنا الحكايات، نجد أن الحروف التي تسطرها العواطف تترك أثرًا عميقًا في النفس. ولكن، هل تذكر ذلك الكتاب الذي قرأته بعناية، ثم تركته في مكانه، ليصبح غلافه متآكلاً بمرور الزمن؟ الحب، كما الكتاب، قد يبدأ بشغف كبير، لكنه يمكن أن يتحول إلى ذكرى تُحفر في الذاكرة، مع بقايا من الألم والحسرة.

إن تجربة الحب قد تُسلب منّا الفرحة، وقد تُضحي بالسلام الداخلي، إذ يجعلنا نعيش في حالة من الشك والخوف من الفقد. كأننا نقف على حافة هاوية، نتأرجح بين السعادة والرغبة في الاحتفاظ بالمشاعر، وبين الألم الذي قد يحدث جراء الفراق. هناك شعور عميق بالوحدة حتى في خضم الحب، وكأن القلب أصبح منزلاً لا يُحتمل فيه الضجيج.

الحب قد يُبقي القلوب حية، لكنه أيضًا يحمل في طياته إمكانية الإنهاء. مثلما يُزهر الورد، قد يُذبل أيضًا، وقد يُخفي في جماله جراحًا عميقة. ففي عالم مليء بالخيبة والفقد، يصبح الحب سلاحًا ذو حدين، يبعث الحياة ولكنه يهدد أيضًا بالانكسار .

وفي النهاية، تبقى الإجابة معقدة، كما هي مشاعرنا. قد يُحيي الحب القلوب، لكنه أيضًا قد يُميتها. وهذا هو سحره وخلوده، حيث يتجلى الحب كرحلة بين الفرح والألم، مما يجعل من كل تجربة عاطفية لوحة فنية غامضة، تستحق التأمل والتفكير.

****

- نعم وهكذا مرت السنوات، وها أنا ذا، بعيد، بعيد جداً عنها، عن قلبها عن كل تلك الذكريات، قلتُ لكِ سابقاً وداعاً، لكن أكررها لك الآن،كختام لوهم الماضي الذي أتخلص منه الآن.

وداعاً يا أجمل وهم عشته يوماً، وداعاً يا أجمل حكاية روتها لي الأيام،رحلت عني ولكنها تركت لي أعظم كنز، الكتابة، تلك الموهبة التي لم أعرف عنها شيء لولاها، وداعاً في ختام قصص الغرام أتركه، وداعاً للماضي الذي عشته، والذي أريد أن أمحوه اليوم لأنه أضحى لعنه تحرق قلبي، ذكرياتي، أريد أن أنسى، لا أريد أن أبقى سجين قلبها بعد اليوم .

"اللعنة على قلبي الذي أحبك واللعنة على قلبك الذي لم يدري شيء عن قلبي"

فتح درج مكتبه، وأخرج تلك الصورة التي تجمعه بها عند ذلك الشاطئ، تلك الصورة التي دسها بمعطفه يوماً ما، إبتسم بهدوء، وقربها من لهيب الشمعه، الواثبة فوق مكتبه، تلك التي تعطيه ضوء ليكتب، بلهيبها المتراقص، التي أخذت به تحترق أوصافها، ويتطاير رمادها بالهواء،ومعه يتطاير الماضي، وذكريات حبه اللعين .

"حقاً لا مكان للماضي في حياتي بعد الآن، وداعاً".

ختامًا أقول

لا تبحث عن (عمر) أو عن (ريان) أو عن أي أحد في أي رواية كتبتها مسبقاً،لأنهم جميعهم من وحي الخيال، من وحي ما أعيش، ما أسمع وما أرى، كتبت هذه الرواية لكي أجعلها رسالة لكل من كسر في هذه الحياة، أخبره فيها :أن لا بد أن يعوضك الله بما هو خيرٌ لك، عمر لم يحصل على ريان لكنه حصل على ما هو أعظم)الكتابه) تلك الكنز الثمين، التي تألق بها البطل فيما بعد، وأنت لا بد أن تجد يوماً ما شخصاً يناسبك تماماً، يحبك بنفس الطريقة التي تحبه بها، و إلى هنا بعد كل ما كتبت أود أن أوجه إمتناني وشكري)لمكتبة كتوباتي) التي نسقت هذا الكتاب وأخرجته بحلته الجميله هذه، كما لا أنسى أمي التي تدعم قلمي دوماً ...

شكراً من القلب ...

"تذكر أنه بوسط الليل والظلام هنالك نجوم، وأن بعد الصعاب والهموم هناك فرحة كبيره تنتظرنا خلف ذلك الباب، أفق جديد، حب جديد، حياة جديده، سعاده وتجارب جديده "

إلى الرواية القادمه إن شاء الله أترككم بحفظ الله ورعايته ...

عمر

٢٠٢٤-١٠-٣

تم بحمد الله.